من أسرار الخط المغربي

From the secrets of the Moroccan calligraphy

د.محمد الحاكم بن عون. أستاذ محاضر–أ–. جامعة الشهيد حمه لخضر –الوادي–
benaoun-mohammedelhakem@univ-eloued.dz

تاريخ الاستلام: 2022/09/15 تاريخ القبول: 2022/06/30 تاريخ النشر: 2022/10/08

ملخص:

تميز المغرب الإسلامي، بنتاج حضاري وعمراني شاهدين على تميز الفرد المغربي؛ الذي لم يكن مقلدا لغيره، ومن بين مظاهر التميز في ذلك النتاج الحضاري الخط المغربي الذي كتبت به المخطوطات العربية في شتى المجالات الدينية والعلمية العقلية منها والنقلية، ولهذا الخط عديد الأسرار مكنونة فيه، فأردنا من خلال هذا المقال تسليط الضوء على بعض أسراره الدالة على استمراريته وتميزه منذ العصور الوسطى إلى يومنا هذا.

كلمات مفتاحية: أسرار.؛ الخط.؛ المغربي.؛ التصحيف.؛ التحريف.

Abstract:

The distinction of the Islamic Maghreb, with a civilized and urban product, witnesses to the distinctiveness of the Moroccan individual; Which was not imitated by anyone else, and among the manifestations of excellence in that civilized product is the Moroccan calligraphy in which Arabic manuscripts were written in various religious, scientific, mental and transmission fields. It is distinguished from the Middle Ages to the present day.

key words*:* Secrets; Line; Moroccan; Altashif ;Distortion.

***المؤلف المرسل**

1. مقدمة:

للخط المغربي عديد الخصائص من حيث الشكل والذي تعرض لذكرها الكثير من الباحثين، على غرار عمر أفا ومحمد المغراوي في مؤلفيهما " الخط المغربي (تاريخ وواقع وآفاق)"، من جمالية في الشكل وانسجام وتناغم. ..، غير أن للخط المغربي أسرار تكمن في منعه للتصحيف؛ الذي يحول الكلمة عن الهيئة المتعارفة إلى غيرها؛ كما أورد ذلك السخاوي "فتح المغيث" من خلال منع التغيير في نقط أو شكل الكلمة، عكس الخط المشرقي، ومن هنا أردت من خلال هذا المقال كشف هذا السر في الخط المغربي التي تعتبر الجزائر(المغرب الأوسط)من بلدانه.

وإحاطة بهذه الإشكاليّة تمّ تقسيم هذت البحث إلى خمس نقاط أساسيّة، هي:

أولا-نقط الاعجام في الحرف العربي؛

ثانيا- الخط المغربي؛

ثالثا-أنواع الخط المغربي؛

رابعا-الفرق بين الخط المغربي والخط المشرقي؛

خامسا- منع التصحيف في الخط المغربي.

2. نقط الاعجام في الحرف العربي:

"الرقم أو الرقش أو نقط الاعجام ظاهرة لم تكن معروفة في القلم العربي المسند؛ لأن حروفه صامتة وتكتب منفصلة عن بعضها، وما كان يسهل أمر قراءتها وفهمها أنه ليس فيها حروفا متطابقة بالرسم؛ مما يعني انتفاء الحاجة إلى الاعجام"[1].

والعرب في الجاهلية-قبل بزوغ نور الإسلام- كانوا على علم بالاعجام غير أن استخدامه كان قليلا، وهو ماورد في قوله تعالى: ﴿ ﴾ المطففين: 9. والرقم والترقيم تعجيم الكتاب، ورقّم الكتاب يرقمه رقما، أعجمه وبيّنه، وكتاب مرقوم أي بيّنت حروفه بعلامات من التنقيط[2].

[1] عبد العزيز حميد صالح،د.تا، ج1،ص 278.

وحروف الأبجدية في العربية هي ثمان وعشرين (28)حرفا، وضعت رسومها على تسعة عشرة (19)شكلا؛ مما اضطرهم إلى الإعجام للتفريق بينها[3]؛ حتى لا تكثر رسوم الحروف، وهو ما أورده اللغوي غبد الرحمان الزجاحي(ت340هـ) في قوله:"إن السبب الأساس في اللجوء إلى الاعجام، أن بعض الحروف قد جعلت على صورة واحدة في الخط نحو (الياء)و(الباء)، و(الجيم) و(الحاء) و(الخاء)، و(الدال) و(الذال)،. ..، لأنهم فرّقوا بينها بالنقط، فكان ذلك أخف عليهم من أن يجعلوا لكل واحد من هذه الحروف صورة على حدة فتكثر الصور"[4].

وبعد اتساع الفتح الاسلامي ودخول عديد الأمصار –من غير العرب–فيه، وحتى لا يصحّف كلام الله عز وجل أخذ بعض النسّاخ إعجام الحروف المتشابهة، هذا الأمر كان يعاب على النساخ فيه؛ لأن العرب الأقحاح، ومن جاء بعدهم لم يكونوا بحاجة إلى الإعجام؛ ولأن نسخ المصحف العثماني لم يرد فيه إعجاما، فكانو يقولون " إن كثرة النقط في الكتاب سوء ظن بالمكتوب إليه"[5]، واورد شاعرا يرد على كاتب راسله في قوله:

يا كاتبا كتب الغداة يسبني *** من ذا يطيق براعة الكتّاب

لم ترض بالإعجام حين سببتني*** حتى شكلت عليه بالإعراب

ومن الخطوط التي تميزت بإعجام مختلف عن ما هو عليه في المشرق، نجد الخط المغربي الذي حافظ على جماليته وتقاليده ورسمه.

3.الخط المغربي:

[2] ابن منظور، لسان العرب، 15، ص139.

[3] عبد العزيز حميد صالح، المرجع السابق، ص 281.

[4] عبد الرحمان بن إسحاق الزجّجي، 1957م، ص272.

[5] عبد العزيز حميد صالح، المرجع السابق، ص 285.

امتد الخط العربي إلى شمال افريقيا إثر الفتح الإسلامي؛ حيث كانت تكتب به رسائل الخلفاء إلى الولاة وردود الولاة على الخلفاء، كما كتبت به المصاحف والكتب الدينية[6].

فكانت ترسم المصاحف بالخط الكوفي، أما خط التدوين اللين فكتبت به الرسائل[7]، فلم يبق الخط الكوفي الذي عرف كذلك بالقيرواني على حاله بل تطور تطورا خاصا في بلاد المغرب والأندلس، وصارت له خصائصه المغايرة لكافة أنواع الخطوط العربية[8]، الذي أصبح يلقب بالخط المغربي.

فهو خط ليس بالتدويني الذي شهدته مصر في خلافة عمر (رضي الله عنه)، فهو مشتق من الكوفي، وإن كان أكثر منه مطاوعة في يد الكاتب وأميل إلى الاستدارة[9].

وتميز الخط المغربي من حيث الاعجام *الذي خالف فيه الاعجام المشرقي في تنقيط الحروف المتشابهة في الرسم كالفاء والقاف مثلا.

والإعجام هو الطريقة المثلى لتحاشي التصحيف؛ أي القراءة غير الصحيحة.

4.أنواع الخط المغربي:

وقد استقر الخط المغربي في خمسة أنواع[10] وهي:

1.4 الخط المبسوط:

وسمي بذلك لبساطته وسهولة قراءته، يوجد في المصاحف القديمة، ، وبه طبعت المصاحف المغربية الشريفة في المطابع الحجرية.

2.4 الخط المجوهر:

---

[6] إبراهيم جمعة، 1981، ص30.

[7] نفسه، ص30

[8] نفسه، ص ص30-31.

[9] نفسه، ص32.

* لا يعني الاعجام نقط الحروف فحسب بل تعني نقط الحروف وشكلها في آن واحد.

[10] محمد المنوني، 1991. ص 322.

وهو أكثر الخطوط المغربية استعمالا، تكتب به المراسيم السلطانية، والرسائل الخاصة والعامة، وبه طبعت الكتب العلمية بالمطبعة المحمدية أيام السلطان العلوي محمد الرابع.

3.4 الخط المسند(الزمامي):

للوثائق العدلية والمقيدات الشخصية وما شابه ذلك.

4.4 الخط المشرقي:

مقتبس من الخط المشرقي، لكن مغربته يد المبدعين المتقدمين، ويكتب بحروف غليظة متداخلة بعضها في بعض، ويمتاز بليونته وانسياب حروفه، وإمكانياته غير المحدودة في التشكيل، وفي تطويع صور الحروف تبعا لمعايير جمالية، وكثيرا ما يكتب بماء الذهب، ويزخرف ويشجر بأشكال مختلفة، ، فهو يستعمل في زخرفة عناوين الكتب، ويستخدم للتزيين في الفنون المعمارية مثل زخرفة المساجد والأضرحة والمساجد والمدارس العتيقة.

5.4 الخط الكوفي المغربي:

وهو الأصل الذي تطورت عنه أنواع الخط المغربي الأخرى. وهو خط هندسي بديع، توجد نماذج منه مكتوبة على القطع النقدية القديمة، وعلى رق الغزال في المصاحف القديمة، وعلى منقوشات من الحجر على أبواب المدن والقصبات، وعلى الجبص في المساجد والمدارس العتيقة وقبور الملوك وأضرحة الأولياء.

5. الفرق بين الخط المغربي والخط المشرقي:

ليس من شك أن بين الخط المغربي والخط المشرقي فوارق ظاهرة وبيّنة إذا لاحظنا أشكال الكتابة في الخطين نرى أن هناك فوارق في النقاط وغيرها, وربما يطول الحديث عن هذه الفوارق وسنحاول اختصارها في ما يلي:

- تم تنقيط الفاء بنقطة أسفل الحرف، بدل أعلاه.
- تنقيط القاف بنقطة أعلى الحرف بدل نقطتين[11].
- أهمل تنقيط الحروف المجموعة في كلمة (ينفق) إذا وردت في آخر الكلمة؛ وذلك لعدم إمكانية التباسها بحروف أخرى.

تبنى الأندلسيون والمغاربة تنقيط أبي الأسود الدؤلي في مصاحفهم الأولى، ثم انتقلوا إلى تنقيط الخليل بن أحمد الفراهيدي فيما يخص نقط الحروف وتشكيلاتها، باستثناء ما سبقت الإشارة إليه، وخالفوه في رسم همزات الوصل والقطع، فكتبت بنقط كبيرة ملونة بلونين مختلفين.

ورغم أن الغالب على المصاحف المشرقية استخدام لون واحد للحروف ونقطها وتشكيلاتها، فقد حافظت المصاحف المغربية لمدة طويلة على استخدام الألوان المختلفة للتشكيلات ولهمزتي الوصل والقطع، باعتبارها مضافة إلى الحروف.

اختلاف بين الشقين: والفاء منقوطة من الأسفل والقاف نقطة واحدة من فوق, والكاف "مشالة" أو ملتوية كذنب عقرب في حالة تأهب وهناك كاف مدغمة وميم نتعرف عليها بممارسة القراءة والتفرس, وحروف أخرى متعرجة أو مدغمة ونون مستطيلة إلى أشكال خطية يتعرف عليها قراء المخطوطات.المصاحف في الخط المغربي.

6.منع التصحيف في الخط المغربي

قبل أن نتحدث عن أسرار الخط المغربي، نعرّج على تعريف مفهومي التصحيف والتحريف والفرق بينهما.

1.6 التصحيف:

1.1.6 لغة:

[11] خلافاً للتنقيط الذي وضعه الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 170هـ) وعمم على جميع الخطوط المشرقية .

من فعل صحَّفَ يصحِّف، تصحيفًا، فهو مُصحِّف، والمفعول مُصحَّف، وصَحَّفَ الكَلِمَةَ: كتبها أو قرأها على غير صحتها؛ لاشتباه في الحروف[12]، وجاء في القاموس المحيط الخطأ في الصحيفة.[13]

2.1.6اصطلاحا:

"هو تحويل الكلمة عن الهيئة المتعارفة إلى غيرها "[14]، أو هو تغيير في نقط الحروف أو حركاتها، مع بقاء صورة الخط[15]؛ فهو تغيير في حروف الكلمة مما تختلف فيه صورة الخط: مثال عباس تتغير إلى عيّاش، وقد يحدث التصحيف عند التغيير في نقط أو شكل الكلمة مع بقاء صورة الخط، مثل العدل والعذل وبين الثوري والتوزي(التنقيط)، أما في الشكل مثل: نَمَتْ ونِمْتُ.

والتصحيف يقع كذلك في تغيير المعنى؛ ومن أمثلة ذلك ما ذكره الخطابي عن بعض شيوخه في الحديث أنه لما روى حديث النهي عن التحليق يوم الجمعة قبل الصلاة قال: ما حلقت رأسي قبل الصلاة منذ أربعين سنة، فهم منه تحليق الرؤوس، وإنما المراد تحليق الناس حلقا "[16].

والناظر في كتب المحدثين يلحظ استعمال لفظة التصحيف أكثر من استعمال لفظة التحريف؛ أي أنه ليس ثمة فرق بين الاستعمالين، بل هما لفظان مترادفان في استعمال المحدثين ولم يثبت التفريق بينهما في أي من الصور.

---

[12] معجم المعاني.متاح على الرابط https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar /تصحيف/ تاريخ الزيارة 2020/04/22 الساعة 17:30.

[13] القاموس المحيط، مج3.، ص217.

[14] السخاوي، (1426ه)،ج3، ص72

[15] محمود محمد الطناحي، 1984، ص286.

[16] عبد الرحيم الحسين العراقي، ج2، 2002، ص ص 300-301.

، بل إن الخطابي في كتابه "إصلاح غلط المحدثين" أطلق على جميع أمثلته التي ذكرها في التصحيف – وهي من الصورة الثانية – أطلق عليها لفظ التحريف حيث قال: " وهذه ألفاظ من الحديث يرويها أكثر الناس والمحدثين ملحونة ومحرفة "[17].

2.6 التحريف:

1.2.6 لغة:

التغيير[18]؛ والميل بالكلمة عن معناها، قال الخليل: "والتحريف في القرآن تغيير الكلمة عن معناها لقوله ﴿ □ □ نم نى □ □ □ □ □ □ □ □ □ يم يي □ □ □ □ ﴾ بن بى بي تر □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ بر □ □ □ □ □ □ □ □ □ تن ﴾ النساء 46، وتحرف فلان عن فلانٍ وانحرف وإحرَوْرَف: أي مال[19]، وذلك يعم كل خطأ وكل تغيير دون تفريق بين صوره.

2.2.6 اصطلاحا

هو ما كانت فيه المخالفة مع تشابه صورة الخط، فإذا أدت المخالفة إلى تغيير الخط فهو التحريف، وذلك في قول الشاعر (إذا ما سرى في القوم) فقرأها (سرى بالقوم) فعقب عليه العسكري بقوله: "هذا من التحريف لا من التصحيف "، فالعسكري يقصره"التصحيف" على التغيير الذي تبقى فيه صورة الخط واحدة[20] .

حتى كان عصر الحافظ ابن حجر في المتأخرين، فحاول ضبط التفريق بين الاصطلاحين، قصدا منه لتسهيل العلم وتحديده، فاختار أن يفرق بينهما بقوله:

---

[17] الاسلام سؤال وجواب(التصحيف والتحريف والفرق بينهما)
https://islamqa.info/index.php/ar/answers/100266/ / تاريخ الزيارة 2020/04/22 الساعة 17:00.

[18] القاموس المحيط، مج3.، ص171.

[19] وليد محمد السراقبي،**مجلة** عالم الكتب مج22، ع1-2، ص51.

[20] الاسلام سؤال وجواب(التصحيف والتحريف والفرق بينهما)، المرجع السابق، ص1.

"إن كانت المخالفة بتغيير حرف أو حروف مع بقاء صورة الخط في السياق، فإن كان ذلك بالنسبة إلى النقط فالمصحف، وإن كان بالنسبة إلى الشكل فالمحرف "[21]

إن الخط يبين راسمه إن كان مشرقيا أو مغربيا، وإن أراد ناسخ مشرقي تقليد الحرف المغربي وكتابة مخطوط بخط مغربي فإن الطبع يغلب التطبع؛ فيستبدل الفاء قافا، أو ينقط الياء أو النون أو القاف في آخر الكلمة وهي مهملة في الخط المغربي، فإذا نسخ ناسخ مشرقي كتابا بخط مغربي، وهو يجهل رسومه، كان ذلك مظنة تصحيف؛ فإذا رأى "المحقق" في المكتوب كلمة " سقر"، فليتنبه لذلك وليثبتها "سفر"[22]؛ فهذه من أسراره وميزاته التي تجعل إمكانية التصحيف ضئيلة إذا ما قورنت بخطوط أخرى.

فسرّ الخط المغربي يكمن في استمرارية قراءته ولو أضيفت إليه نقاط بفعل بشري أو غيره مما تضعه الحشرات؛ كالذباب والبعوض، والقارئ المتمكّن من الخط المغربي يستطيع التفريق بين القاف والفاء المهملتين في آخر الكلمة من خلال الصياغة ونضرب مثالا على ذلك قوله ﷻ □ □ □ خم □ □ □ سم□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﷺ البقرة:28.

فلا تقرأ فاء كيف قافا كما أن قاف حقيق لا تقرأ فاءا في قوله ﷻ □ □ لخ لم لى لي □ □ □ □ □ □ □□ □ □ □ نم نى □ □ □ □ □ □ □ ﷺ الأعراف: 105.

والتصحيف الذي قد يحدث فيه يبين الناسخ، كما أننا نستطيع تجاوز التصحيف بمقابلة النسخ بعضها ببعض، وعلى المحقق أن يفرق بين خطأ المؤلف وخطأ الناسخ، فالأول يتركه كما هو في متن البحث ويقوم بتصويبه في الهامش حرصا على الأمانة العلمية، أما سقط وتصحيف الناسخ فإنه يورده في متن البحث مشيرا إليه في هامش التحقيق، لأن الغاية الوصول إلى ما قاله المصنّف على وجه الدقة والصواب[23].

---

[21] الاسلام سؤال وجواب(التصحيف والتحريف والفرق بينهما)، نفسه.

[22] محمود محمد الطناحي، مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي، ط1، مكتبة الخانجي بالقاهرة، 1984، ص301.

[23] موفق بن عبد الله بن عبد القادر، 1993، ص143.

7. خاتمة:

- بقي الخط المغربي محافظا على تقاليد الساكنة في بلدان الشمال الافريقي.
- صعوبة تزوير وتحريف الخط المغربي، للخصائص التي يتمتع بها في الرسم، والامالات وتناغم حروفه.
- استمرارية قراءته، رغم الاضافات التي قد تقع عليه سهوا أوتعمدا بشرية أو غيرها، لخاصية إعجامه التي يتميز بها عكس الخطوط المشرقية.
- يساهم الخط المغربي في التحقق من مؤلفه؛ مما يساعد على تحقيق متن المخطوطات.
- نعرف من خلال الخط المغربي، رحلة المخطوط شرقا وغربا؛ من خلال التعليقات والحواشي التي قد تقع فيه.
- دعوة المغاربة"أهل شمال إفريقيا" إلى النهوض بتراثهم؛ لأنهم الأدرى برسوم الخط المغربي وقواعده.

5. قائمة المراجع:

- ابن منظور محمد بن مكرم بن علي،، لسان العرب، 15، دار المعارف للنشر، بيروت، لبنان.
- الزجّجي عبد الرحمان بن إسحاق،(1957)، كتاب الجمل،(د.نا)، باريس.
- السخاوي محمد بن عبد الرحمان،(1426)، فتح المغيث بشرح ألفية الحديث، ج3، تحقيق:عبد الكريم بن عبد الله بن عبد الرحمان الخضير ؛ محمد بن عبد الله بن فهيد آل فهيد، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع بالرياض.
- الطناحي محمود محمد ، (1984)، ط1،مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي، مكتبة الخانجي بالقاهرة.
- العراقي عبد الرحيم الحسين ، (2002)، ط1، شرح التبصرة والتذكرة، ج2، تحق: عبد اللطيف الهميم وماهر ياسين فحل،، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان–.
- الفيروزبادي مجد الدين،(2008)، القاموس المحيط، مج3، تحقيق أنس محمد الشامي؛ زكرياء جابر أحمد، دار الحديث بالقاهرة–مصر–.

- المنوني، محمد، (1991)، تاريخ الوراقة المغربية: صناعة المخطوط المغربي من العصر الوسيط إلى الفترة المعاصرة. الرباط: كلية الآداب و العلوم الإنسانية.

- بن عبد الله بن عبد القادر موفق ، (1993)، ط1، توثيق النصوص وضبطها عند المحدثين، ، المكتبة المكية- السعودية-، دار البشائر للطباعة والنشر، بيروت-لبنان-.

- جمعة إبراهيم، قصة الكتابة العربية، (1981)،ط3، المطبعة العالمية، القاهرة.

- عبد العزيز حميد صالح،(د.تا)،تاريخ الخط العربي عبر العصور المتعاقبة، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت.

- محمد السراقبي وليد، "مفهوم التحريف (دراسة في تأصيل المصطلح)"-، (2001)، مجلة عالم الكتب مج22، ع1-2،

- معجم المعاني https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar © Copyrights 2010- 2021 Almaany.com, All rights reserved.

- الاسلام سؤال وجواب(النصحيف والتحريف والفرق بينهما)
https://islamqa.info/index.php/ar/answers/100266/ تاريخ النشر2007/05/05